

صورة الأرض عند ابن الوردي

مصادره، ومن أخذ منه

إعداد الدكتور: أحمد ظاهر المنفي

لم يُعرف عن حياة ابن الوردي إلا النزر اليسير، وما نعرفه عنه لا يطلع القارئ على تاريخ ولادته، وظروف نشأته، وتكوينه، وثقافته، ولا حتى تاريخ وفاته بدقة، وباختصار إن صاحب الصور التي نحن بصدد الحديث عنها هو سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، القرشي، البكري، المعري، الحلبي، المتوفى سنة (852هـ=1447م)⁽¹⁾، وفي رواية أخرى سنة (861هـ=1457م)⁽²⁾. وهو سليل لأسرة زين الدين عمر بن المظفر بن الوردي المتوفى سنة (749هـ=1347م)⁽³⁾.

والكتاب الوحيد الذي نعرفه عن ابن الوردي هو «خريدة العجائب وفريدة الغرائب»⁽⁴⁾ وقد ألفه حسب ما ورد في الخريدة سنة (822هـ=1419م)⁽⁵⁾، وقد ألفه بناءً على طلب صاحب المقر الأشرف العالي المولوي شاهين المؤيدي، نائب السلطنة الشريفة بالقلعة المنصورة الحلبية⁽⁶⁾، الذي طلب منه أن يرسم صورة للأرض بأقاليمها، وبلدانها، وصفاتها، وهيناتها، وأقطارها، وممالكها...

⁽¹⁾Bro kelman , Geschichte der Arabischen Litera ture. Leiden . 1938. Supp .II p. 174.

⁽²⁾كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، 1987، ص (539-545).

⁽³⁾حاجي خليفة: كشف الظنون، 1981، المجلد الأول، ص 701، محمد راغب الطباخ: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، 1988، ج 5، (ص 6-10).

⁽⁴⁾الخريدة: جاء في اللسان؛ الخريدة من النساء هي البكر التي لم تمس، وكلّ عذراء خريدة، واللؤلؤة التي لم تنقب بعد خريدة، وباعتقادي أن المؤلف أراد أن يُقلد عنوان كتاب العماد الأصفهاني: "خريدة القصر وجريدة أهل العصر".

⁽⁵⁾انظر خريدة العجائب وفريدة الغرائب، مخطوطة موجودة في مكتبة الأسد برقم 3639 الورقة 145.

⁽⁶⁾قلنا: في طبقات الخريدة "شاهين المؤيد... بالقلعة المنصورة الجليية". (هيئة التحرير).

وقد لبى المؤلف رغبة مولاه، فرسم "صورة للأرض، وخارطة⁽⁷⁾ للعالم"، وقد جاء الكتاب في نصفه الأول: وصفاً للأقاليم والبلدان والمدن التي وردت في الخارطة، والغريب أن المؤلف لم يرسم خارطة أو خارطتين، إنما رسم عدداً كبيراً من الخرائط، وقد استطعت أن أجمع ثمانى عشرة خارطة "انظر منها الخرائط من 1-4) حصلت عليها من مختلف مكنتبات العالم، وخاصة المكنتبات الأوروبية.

وقد امتازت خرائط ابن الوردي بعدة مزايا أهمها:

1 - رسم العالم على شكل دائرة يحيط بها بحر الظلمات، ويحيط بالكلّ جبل قاف وفي خرائط أخرى رسم محيط المحيط وجبل قاف على التوالي، بينما رسم في بعضها الآخر جبل قاف على الحافة، ورسم المحيط على شكل دائرة تقع بين جبل قاف والأرض.

علماً أن ابن الوردي أكد في المتن أن الأرض كروية، إذ يقول: يلزم أن تحت الأرض سماء كما فوقها سماء⁽⁸⁾، ويميز في المتن أيضاً بين بحر فارس "المحيط الهندي"، وبحر الظلمات "المحيط الأطلسي"، و"المحيط الهادي" فبحر الظلمات، أو المحيط المظلم بحر مجهول لا يمكن ركوبه بسبب كثرة أهواله، إذ يصفه قائلاً: هو بحر عظيم هائل المياه كثر اللون شامخ الموج، صعب الظهر، لا يمكن لأحد ركوبه من صعوبته وظلمته، وننته وتعاضم أمواجه، وكثرة أهواله، وهيجان أرياحه، وتسلط هوامه، وهذا البحر لا يعلم أحد قعره، ولم يقف أحد من خبره على الصحة، ولا ركبه ملجأ أبداً إنما يُمرُّ مع ذيل الساحل لأن به أمواجاً كالجبال الشوامخ.

أما البحار الأخرى مثل بحر الروم أو بحر الشام "البحر المتوسط، وبحر البنادقة" بحر الأديرياتيك" بحر بنطس "البحر الأسود" و"بحر فارس" و"بحر القلزم" - "البحر الأحمر" فقد اعتبرها خلجاناً آخذة من المحيط، ولأنها معروفة ومسبوكة فكان وصفه لها صحيحاً وواضحاً، إذ تحدث عن شواطئها، وجزرها، والأقوام التي استوطنت حول هذه البحار.

أما جبل قاف فوصفه بأنه جبل محيط بالدنيا إحاطة بياض العين بسوادها، وهو بذلك يستفيد من المعارف التي وردت في مؤلفات إسلامية سابقة؛ فابن رسته مثلاً لم يُسمِ جبل قاف بالاسم وإنما قال: إن حول الأرض جبلاً محيطاً بالأرض⁽⁹⁾.

⁽⁷⁾ الخارطة: اصطلاح عربي قديم مأخوذ من اللفظ خرت، وَخَرَتِ الأرض أي جال فيها، ومنها عالم خريت، أي جوال، أما الاصطلاح الذي ساد في العصور الوسطى فهو صورة الأرض، رسم الأرض، أشكال الأرض، صفات الدنيا، ولوح الرسم.

The Encyclopedia of Islam. Vol IV p. 1078.

⁽⁸⁾ انظر: "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، الورقة 6، ظهر. (قلنا: وقبل ذلك قال ابن الوردي ص 20 من النسخة المطبوعة أيضاً: "والذي عليه الجمهور أن الأرض مستديرة كالكرة، وأن السماء محيطة بها من كل جانب كإحاطة البيضة بالحمّة" (هيئة التحرير).

⁽⁹⁾ ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص 28.

أما القزويني فقال: "جبل محيط بالأرض"⁽¹⁰⁾، ولهذا الرأي شبيهه في تراث الشعوب المجاورة، أعني الفرس والهنود والإغريق، فالفرس يعدون جبل البرز الأسطوري أساسياً في السلسلة العالمية، فالمستوفي يقول: البرز جبل ضخيم يبدأ من الدربند - ميناء على الشاطئ الشمالي الغربي لبحر القزويني - لتتضم إليه كتل جبلية أخرى من تركستان والحجاز، ليمتد أكثر من ألف فرسخ لهذا يعبه الكثيرون جزءاً من جبل قاف المحيط بالأرض⁽¹¹⁾.

ويبدو أن للتراث الفارسي جذوراً في الأساطير الهندية، ففي بعض الأساطير الهندية، وخاصة البورانا Burana، وهي قصص هندية أسطورية قديمة، يتحدث الهنود عن جبل لوكالوكا Lukaluka الأسطوري وعدّوه الحدّ الفاصل بين العالم المرئي والعالم اللامرئي. كذلك اعتبر الإغريق "جبل أولمبوس" الحد الشمالي للعالم وأنه موطن للآلهة⁽¹²⁾.

وهذا يعني أن الغرائب والعجائب لم تكن محصورة بالعرب أو المسلمين، وإنما كانت بمثابة أجوبة غامضة للأسئلة التي لم يستطع مفكرو المسلمين والهنود والفرس والإغريق التوصل إلى إجابات علمية لها.

ولم يقسم ابن الوردي العالم في خارطته إلى نطاقات كما فعل جغرافيو دار الحكمة، أو كما فعل الإدريسي الذي قسم الأرض إلى سبعة نطاقات متوازية، ووصف المواقع الجغرافية في كل إقليم على حدة. وإنما قسم المعمورة في المتن إلى ثلاثة أقاليم وهي الإقليم الأوسط والشمالي والجنوبي، وقد بدأ بوصف المواقع الجغرافية من جبال وسهول وأودية وأنهار ومدن وآبار في الإقليم الأوسط، وذلك لأن فيه مملكة الإسلام ثم وصف الإقليم الجنوبي أي بلاد الزنج والهند والصين ثم وصف بلاد الإقليم الشمالي أي بلاد الفرنج والصقالبة وبلغار وقبائل الترك، ويأجوج ومأجوج، (انظر صورة الأرض للإدريسي) وغاب عن الخريدة الجداول الفلكية، ولا يعني هذا أن الجداول الفلكية أضحت في زمن ابن الوردي موضوعاً هامشياً لا يتأثر الكتاب بحذفها بل استفاد منها، من استبعادها، فوجودها سيكون مسؤولاً عن استغراب القارئ لوجود مواقع غريبة مثل جزيرة الجساسة، وجزيرة التتين، وجزيرة صيدون، وجزيرة الحكماء، فهذه المواقع وغيرها من الغرائب لا يمكن تحديد موقعها على الخارطة لأن المؤلف أراد أن تكون فواصل غريبة لشدة القارئ وإمتاعه.

وقد عين ابن الوردي على خارطته عدداً من المواقع التي لم تعد تعرف بالاسم نفسه مثل نهر آتل، وهو الواقع في الأراضي الروسية، ويصب في بحر قزوين، ويعرف اليوم باسم "نهر الفولغا".

ولم يفت المؤلف أن يعين بعض المواقع المثيرة للاهتمام مثل عين الحياة، ويأجوج ومأجوج، وثانية نستذكر النشأة الإسلامية لابن الوردي، فقد استمد مادته من القرآن الكريم، فعين الحياة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم "سورة الكهف"، (الآية 86)، وهي التي شرب منها الخضر عليه

⁽¹⁰⁾ القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص 215.

⁽¹¹⁾ Mustawfi. Nazhatat Qulub. P. 182.

⁽¹²⁾ The British Encyclopedia Illustrated. ; Vol 7. P. 486.

السلام، الذي قصدها بصحبة الرجل الصالح ذي القرنين⁽¹³⁾.

أما يأجوج ومأجوج فقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم — "سورة الكهف"، الآية (94-98) فقد وضعهم على تخوم المعمورة، وأشهر المدونات عنهم رسالة "سلام الترجمان" الذي سافر في الفترة من (228-229هـ-842-843م)، بناءً على طلب من الخليفة العباسي الواثق ت (233هـ=847م). الذي كلفه بمهمة ذات خطر، فيما رأى الواثق في منامه كان (يأجوج ومأجوج) قد أفلحوا في فتح السد، وبناءً على نصيحة حاشيته كلف "سلام الترجمان"، الذي كان يتكلم أكثر من أربعين لغة، بالسفر إلى منطقة السد وإخباره عن مشاهداته، وقد سافر "سلام الترجمان" فعلاً وعاد بعد أن شاهد موقع السد عياناً، ووصفه في رسالته التي أملاها على الجغرافي ابن خردادبه، الذي أوردتها في كتابه "المسالك والممالك"⁽¹⁴⁾.

وقد كان موقع السد ولا زال مجالاً لافتراضات عديدة، إذ يعتقد العالم الهنغاري زتشي Zichy أن "سلام الترجمان" رأى فيه ممراً من ممرات جبال الأورال حصنه الأتراك. أما أندريه ميكيل فيعتقد أنه أحد أجزاء سور الصين العظيم⁽¹⁵⁾.

وعملياً لم يتم التعرف على موقع السد بشكل صحيح، غير أن خط الرحلة يبين أن "سلام الترجمان" انطلق من سامراء فاتجه شمالاً إي إلى جبال القفقاس ثم التف حول بحر قزوين شمالاً ليجتاز نهر الفولغا ومن مصب الفولغا اتجه شرقاً مسيرة ستة وعشرين يوماً، حيث وصل إلى الأرض المنتنة، التي سار فيها لمدة عشرة أيام، ثم سار مدة سبعة وعشرين يوماً في أرض خراب قيل له إن يأجوج ومأجوج خربوها ثم سار إلى حصن يقع بالقرب من الجبل الذي أقيم السد في شعب منه.⁽¹⁶⁾

وهذا يعني أنه سار لمدة (54) يوماً فإذا كان يقطع في اليوم الواحد نحو (33) ميلاً أي حوالي (50كم)، فإنه قطع (2700كم).

أي أنه وصل إلى مشارق بحيرة بايكال.

وقد عين ابن الوردي موقع انتشار عدد من القبائل التركية مثل الغزية والتغزغز، وخرخير، وكيماك، وهي التي اتخذت من براري شرق قزوين مرتعاً لها، وقد كان لهذه القبائل وخاصة الغزية شأن كبير في قيام "دولة المغول"، وإذا عدنا إلى المتن ارتسمت لدينا صورة واضحة عن حياة هذه القبائل، فقد تحدث عن تضاريس المنطقة، ومناخها، وجوانب اجتماعية عديدة لهذه القبائل ولاسيما الملابس والمسكن، فبيوتهم مغطاة بالجلود لتشكل عازلاً يقيهم برد الشتاء القارس، وقد تحدث ابن

⁽¹³⁾ النويري: نهاية الأرب، ج13، ص244.

⁽¹⁴⁾ ابن خردادبه: المسالك والممالك، ص162-169.

⁽¹⁵⁾ تاريخ الأدب الجغرافي العربي: كراتشكوفسكي، ص159.

⁽¹⁶⁾ معجم البلدان، ياقوت الحموي: ج3، (ص197-200).

الوردي عن الثروات المعدنية لتلك البراري مثل الكبريت والأحجار الكريمة كالزمررد⁽¹⁷⁾، وهذا ما يجعل من المتن إلى جانب الخارطة وثيقة في الجغرافية الاقتصادية التاريخية ذات أهمية كبيرة.

وإذا أردنا رسم خط بياني للخرائط منذ فجر الإسلام، حتى رسم ابن الوردي خريطته فعلياً الرجوع إلى أهم مراحل رسم الصورة "الخارطة" وتحديد المرحلة التي تعود إليها خارطة ابن الوردي، وبهذا نجيب عن السؤال التالي: ماهي المصادر التي اعتمد عليها ابن الوردي، وإلى أي فترة تعود، وماهي التعديلات التي أدخلها، ثم استفاد من هذه الصورة؟

فمن غير المتوقع أن يقوم العرب في القرن الأول الهجري برسم الخرائط المعقدة، إذ يقتصر اسم (الحجاج بن يوسف الثقفي) - ت عام (95هـ=714م)، برسم أول خارطة رسمها العرب، ففي عام (89هـ=708م)، بعث رسالة إلى قتيبة بن مسلم، بعد أن طال انتظاره في فتح بلاد الديلم طالبا منه: "صورها لي" فبعث إليه بصورتها، فجاء الرد: ارجع إلى مراغتك، أي مدينة المراغة الواقعة شمال غربي إيران، فنتب إلى الله تعالى مما كنت فيه، وأتها من مكان كذا.

ولما جاء وفد الديلم إلى الحجاج، أخرج لهم صورة بلادهم، فقالوا: "لقد صدقوك هذه صورتها، إلا أنهم لم يذكروا الرجال الذين يدافعون عن تلك البلاد، وستعلم ذلك لو تكلفته"⁽¹⁸⁾، وفي مطلع العهد العباسي، وذلك خلال حكم أبي جعفر المنصور (136-158هـ=754-755م)، رسمت صورة لمستنقعات البصرة، وبصرف النظر عن مدى صحة هذه الخرائط، فإن معرفة العرب المباشرة لهذه المناطق، إلى جانب الأساليب البسيطة المتبعة في رسم هذه الخرائط هي التي مكنتهم من رسمها.

وقد أسفرت دراسة المعارف الكارتوغرافية والجغرافية الهندية، الفارسية، واليونانية خلال القرنين الثاني والثالث الهجري عن رسم صورة مستديرة للأرض، ومنذ ذلك الحين، حتى القرن العاشر الهجري، عُرف رسم الخرائط بشكل جيد، وقد مرّ هذا العلم بعدة مراحل، حيث رسم الجغرافيون المسلمون خرائط للعالم، وخرائط إقليمية وبحرية، وهم إن قلّوا في البدء أساتذتهم وخاصة الإغريق، فإنهم استبدلوا المفاهيم الأجنبية بأساليب ابتكروها، استناداً إلى تجاربهم الخاصة.⁽¹⁹⁾

ويرجع تاريخ رسم أول صورة مستديرة للأرض إلى عهد الخليفة العباسي المأمون الذي حكم بين (198-218هـ=813-833م)، ونظراً إلى أن المأمون كان يرضى المؤسسة التي قام علماؤها برسم هذه الصورة (كان عددهم حسب ما ذكر الجغرافي الزهري يزيد على سبعين عالماً)⁽²⁰⁾ فقد دُعيت الصورة المأمونية⁽²¹⁾ وقد شاهد المؤرخ السعودي هذه الصورة فوصفها قائلاً: "وفي

⁽¹⁷⁾ معجم البلدان، ياقوت الحموي: ج2، (ص24-25).

⁽¹⁸⁾ مختصر كتاب البلدان، ابن القتيبة: ص283، السعودي: مروج الذهب: 1989، م2، ص67.

⁽¹⁹⁾ تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي: ص224.

⁽²⁰⁾ الزهري: كتاب الجغرافية، 1985، ص1، أحمد فريد رفاعي: عصر المأمون، 1928، ج1، ص376.

⁽²¹⁾ The Encyclopaedia of Islam. Vol IV. P. 1078.

الصورة المأمونية، التي عملت للمأمون، أجمع على وضعها عدة من حكماء أهل عصره، صُوِّرَ فيها العالم بأفلاكه ونجومه، وبيده، وبحره، وعامره، وغامره، وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس، وجغرافية مارينوس⁽²²⁾، وغيرها⁽²³⁾.

ومع أن كثيراً من المفاهيم استمدت من جغرافية بطليموس، إلا أن هناك معطيات أساسية ابتكرها العلماء العرب والمسلمون⁽²⁴⁾.

وخلال الفترة نفسها ألَّفَ محمد بن موسى الخوارزمي ت بعد 232 هـ كتاباً بعنوان "صورة الأرض" وهو عبارة عن جداول إحداثيات للبلدان والجبال، والأنهار، والمدن. كما ضمته خرائط إقليمية، إن صح التعبير، مثل جزيرة الجوهري، وبحر الخزر، ونهر النيل⁽²⁵⁾.

وإذا استثنينا خارطتي الديلم، ومستنقعات البصرة، فإن المصورات الأخرى يمكن أن تتدرج تحت ما يسمى "المدرسة اليونانية الإسلامية"، ذلك لأن الصورة تجمع بين مفاهيم يونانية قديمة، ومفاهيم إسلامية مبتكرة، ومن هذه مثلاً؛ أن بطليموس رسم بحر الصين "المحيط الهندي" بحيرة داخلية منفصلة عن المحيط الهندي، بينما نجده في "الصورة المأمونية" متصلاً بالمحيط الهادي، ونجد مساحة جزيرة سرنديب "سري لانكا" عند الجغرافيين المسلمين أصغر بكثير من مساحتها عند بطليموس. ويُفسر هذا بتقدم المعارف الجغرافية عند الجغرافيين المسلمين، بسبب معرفتهم المباشرة لهذه الجزيرة بشكل خاص، ولشواطئ المحيط الهندي، وشواطئ شرق الصين، بشكل عام وقيامهم بمراجعة الجداول الفلكية اليونانية وتصحيحها على ضوء تجاربهم الخاصة.

وهنا لابد من الرد على الباحث الباكستاني (مقبول أحمد — S., MAQBUL AHMAD)، الذي قال: رسم الكارتوغرافيون المسلمون خطوط الطول والعرض كخطوط مستقيمة وكأنها على سطح منبسط، متجاهلين الشكل الكروي للأرض⁽²⁶⁾. أن الواقع أن هذا الرأي ليس صحيحاً فأول من رسم خريطة للعالم مستخدماً خطوط الطول والعرض على أسس رياضية علمية هو العالم العربي الفينيقي "مارينوس الصوري". أما بالنسبة للعرب المسلمين فإن نظرة إلى "الصورة المأمونية" تظهر أن خطوط الطول تلتقي جميعها عند القطب الشمالي ويضيف مقبول أحمد إن الزهري انتقد العلماء الذين رسموا "الصورة المأمونية" لأنهم رسموا الأرض على شكل منبسط بينما هي كروية⁽²⁷⁾. الواقع أن الزهري لم ينتقد وإنما فسّر، حيث قال: "إنهم بسطوها كما بسطه الأسطرلاب"⁽²⁸⁾.

(22) مارينوس: جغرافي عربي فينيقي من مدينة صور، وهو أول من رسم خرائط مستعملاً فيها خطوط الطول والعرض.

(23) المسعودي: التنبيه والإشراف، 1965، ص 33، أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، ج 1، ص 376.

(24) The Encyclopædia of Islam. Vol IV. P 1078.

(25) فؤاد سزكين: مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، ص 19.

(26) The Encyclopædia of Islam. Vol IV. P 1078.

(27) The Encyclopædia of Islam. Vol IV. P 1078.

(28) الزهري: كتاب الجغرافية، ص 1.

ومع إطلالة القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، بدأت بالظهور مدرسة جديدة في علم المصورات الإسلامية، وظل تأثيرها مستمراً حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهي "المدرسة الكلاسيكية"، أو ما أطلق عليه اسم "خرائط أطلس الإسلام"⁽²⁹⁾ أو "مدرسة البلخي"⁽³⁰⁾.

فقد دشن البلخي (ت 322هـ=934م)، اتجاهًا جديدًا في علم المصورات ليصبح النمط الأكثر شيوعاً وانتشاراً في علم الخرائط الإسلامية، فقد ألف كتاباً بعنوان (صورة الأرض)، أو (صورة الأقاليم)، قدّم فيه وصفاً للأقاليم الإسلامية المرسومة من قبل المؤلف إلا أن ما يهمنا هو "صورة العالم" انظر "صورة تمام أقاليم الأرض"، (الخارطة 20)، وقد اتخذت "صورة العالم" للبلخي، (انظر الخارطة 5) أساساً لصورة العالم التي رسمها الإصطخري⁽³¹⁾ المتوفى سنة (346هـ=957م)، (الخارطة 6)، وجاء بعد الإصطخري جغرافي شهير آخر هو ابن حوقل (ت 367هـ=977م)، وقد رسم عشرين صورة إقليمية، وصورة واحدة للعالم (انظر الخارطة 7)، ويختلف الاتجاه الجديد عن المدرسة اليونانية الإسلامية، إذ يعكس وجهة النظر السياسية للإسلام القائمة على إلقاء الضوء على بلاد الإسلام في تلك الفترة، فإذا أجرينا مقارنة بين المدرسة اليونانية الإسلامية، والمدرسة الكلاسيكية وجدنا أن الأولى وضعت العراق وبالضرورة بغداد أو سامراء في الإقليم الرابع "الأوسط" بينما جاءت مكة المكرمة في مركز العالم في خرائط المجموعة الثانية، وقد خلت خرائط المجموعة الثانية من أي خطوط للطول والعرض على عكس خرائط المدرسة اليونانية الإسلامية التي قسمت العالم إلى سبعة أقاليم شمال خط الاستواء وإقليمين جنوبيه، وتتفق المجموعتان بأن الربع الجنوبي عبارة عن براري مجهولة، وبذلك تختلفان عن الخرائط البطليموسية. وأظهر الجغرافيون المسلمون أصالتهم في جميع الخرائط الإقليمية، إذ رُسمت الحدود والجبال، والأنهار، والمسالك، والمدن جميعاً ببراعة كبيرة وينظر إلى هذه الصور على أنها إنجاز مهم وإضافة مميزة في علم المصورات.

ومن العلامات الهامة في الخرائط الإسلامية، خرائط الجغرافي المغربي الإدريسي، المتوفى عام (560هـ). إذ رسم خارطة واحدة للعالم، وقسم العالم إلى سبعة أقاليم، وقسم كل إقليم إلى عشرة أجزاء، ورسم خرائط منفردة لكل جزء (انظر خارطة أراضي البحر الأسود، (الخارطة 8)، بحيث إذا جُمعت الخرائط العشر كان لدينا خارطة للإقليم، أما إذا جمعنا خرائط الأقاليم السبعة فقد اكتملت لدينا صورة العالم. وهذا ما افتقدته الخرائط الإقليمية، فإذا جمعنا الخرائط الإقليمية العشرين لا يتكون لدينا خارطة واحدة للعالم، لأن تلك الخرائط لم تكن جزءاً من كل بل كانت كل خريطة جزءاً منفصلاً لا يكمل الإقليم المجاورة.

وتعتبر خرائط الإدريسي من أدق الخرائط التي رسمت حتى القرن السادس الهجري/ الثاني

⁽²⁹⁾ كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص 223.

⁽³⁰⁾ The Encyclopædia of Islam. Vol IV. P 1078.

⁽³¹⁾ The Encyclopædia of Islam. Vol IV. P 1078.- 1080.

عشر الميلادي وخاصة تلك التي صورت حوض البحر المتوسط، لاسيما حوضه الشمالي، وحوض البحر الأسود، حيث حملت عليها مواقع جغرافية؛ جبال، مدن، بلدان، جاءت كتب المسالك والممالك على ذكرها ثم اندثرت أو تغير اسمها مثل قمانية ومطلوقة، وبذلك تعتبر هذه الخرائط وثيقة علمية على درجة عالية من الأهمية.

أما زكريا بن محمد القزويني (600-682هـ = 1203-1283م)، فقد رسم صورة للأرض وحول الأرض المحيط، وخلف المحيط جبل قاف، (انظر الخارطة رقم 9)، والآن أصبح من الممكن تحديد المصادر التي اعتمد عليها ابن الوردي، حتى رسم خرائطه، والواقع أن ابن الوردي استفاد من خرائط أطلس الإسلام، حيث اعتمد عليها عند رسمه الشكل العام لليابسة، وبحر الشام، غير أنه اتخذ من خارطة القزويني، مرجعاً رئيسياً ويبدو ذلك من خلال الإطار العام للخارطة، وموقع عرش إبليس، حيث عيّنا موقعه اعتماداً على المفاهيم الدينية، إذ يعتقد أن عرشه على الماء بحمله عدد من الجن⁽³²⁾. أما الفرس فيعتقدون أن عرش إبليس موجود في قبة الأرين أو الأزين، التي قيل إنها تقع في وسط الأرض، أي أن عدد خطوط الطول الواقعة شرقها تساوي عدد خطوط الطول الواقعة غربها، وكذلك عيّن المؤلفان على الخارطة عين الحياة. كذلك جعل المؤلفان الجنوب في أعلى الخارطة، والشمال في أدناها ووقعاً في الخطأ نفسه عندما جعلاً المناطق الجنوبية مثل منابع النيل والسبجة، وجبل القمر، في أعلى الخارطة وليس أدناها، هذا الخطأ لم يقع فيه أعضاء المدرسة الكلاسيكية ولا حتى أعضاء المدرسة اليونانية الإسلامية.

وأخيراً لابد من الحديث عن الذين استفادوا من خرائط ابن الوردي. جاء في "مجلة المقتطف" : "أن خريطة ابن الوردي مطابقة تمام المطابقة للخرائط الأولى التي برزت عند مسيحيي الغرب في بدء النهضة الأوروبية الأمر المؤيد لثبوت فضل العرب على تمدن أوربا"⁽³³⁾، والمقصود هنا "الخرائط القطلونية" - (نسبة إلى مقاطعة كاتالونية الواقعة شمال شرق إسبانية، وعاصمتها برشلونة، التي ظلت تعتمد على المصادر العربية حتى الالتفاف حول رأس الرجاء الصالح عام 1497م)، وقد أثبت ليلول أن نشأة هذه الخرائط ترجع إلى الجغرافيين العرب⁽³⁴⁾، وقد استطاع الألماني كونراد ميلر أن يثبت مطابقة هذه الخرائط للخرائط العربية.

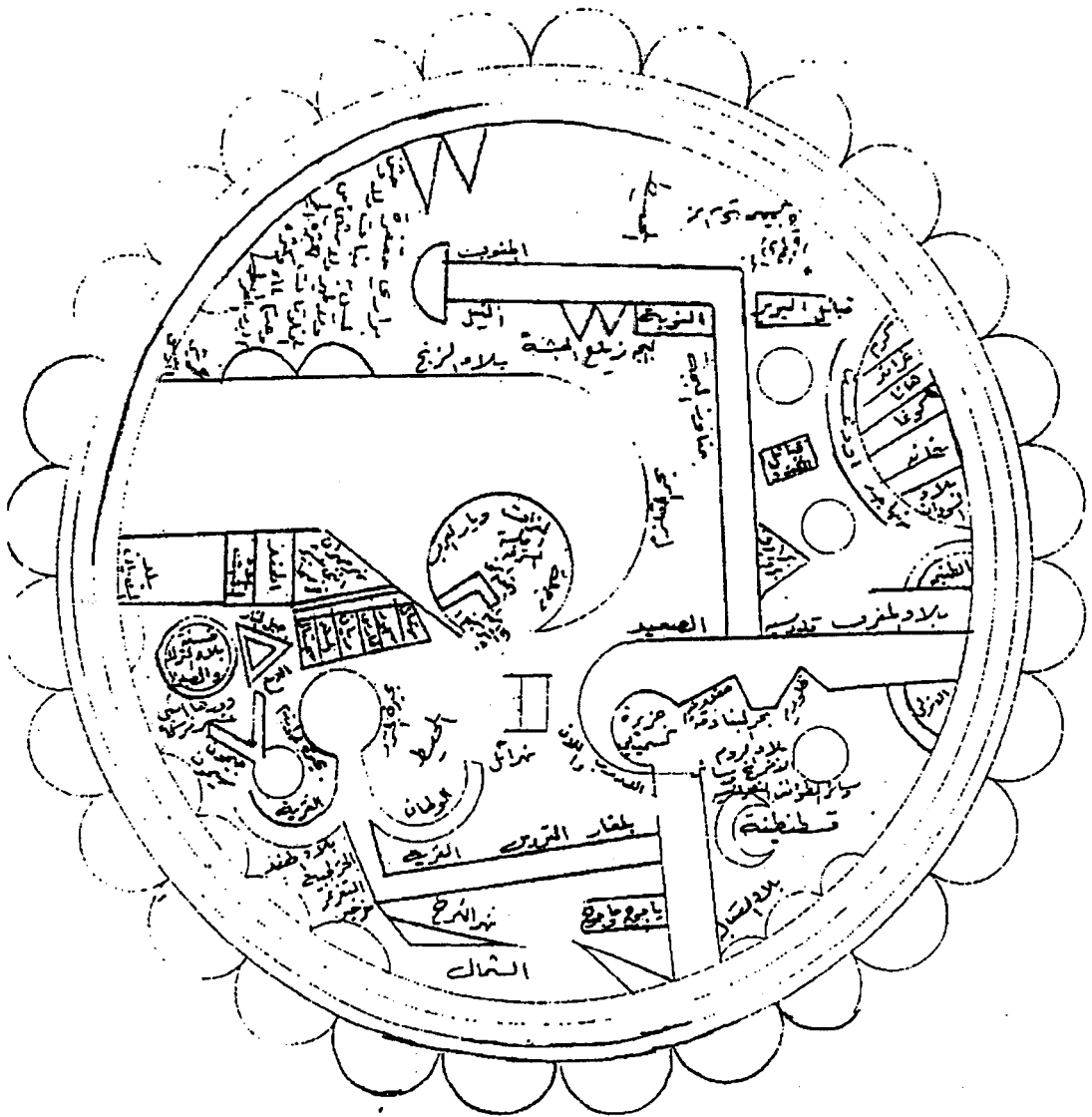
وهذا يعني أن خرائط ابن الوردي كانت المرجع الأساسي الذي اعتمده الأوروبيون وبخاصة الإسبان والبرتغاليون في رسم خرائط النصف الثاني من القرن الخامس عشر، والتي كانت أساساً للالتفاف حول رأس الرجاء الصالح، على يد الملاح البرتغالي فاسكو دي غاما.



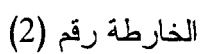
⁽³²⁾ المسعودي: أخبار الزمان، 1966، ص 41.

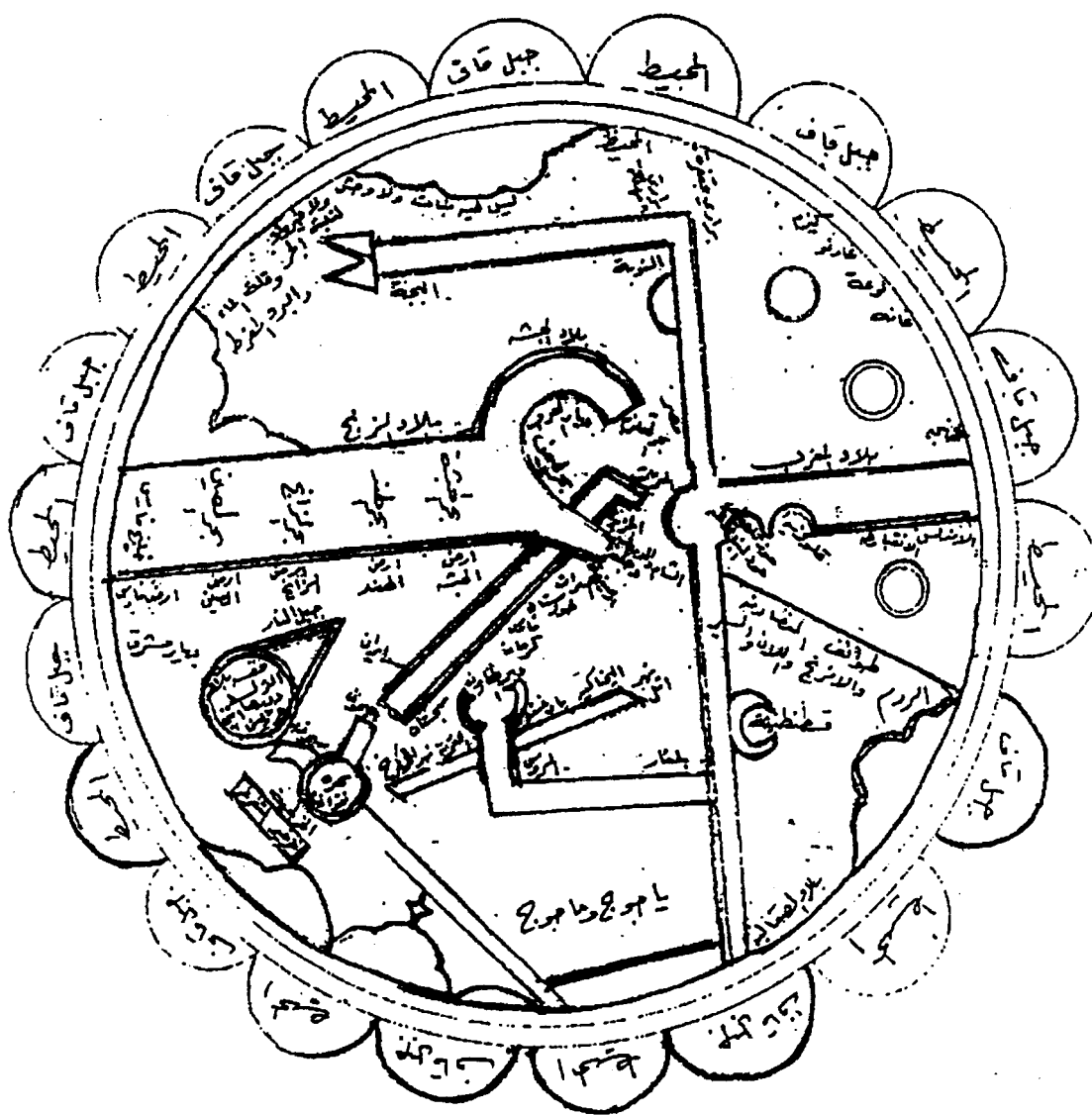
⁽³³⁾ المقتطف: السنة 13، ص 153.

⁽³⁴⁾ فواد سركين: مساهمة الجغرافيين العرب والمسلمين في صنع خريطة العالم، ص 4.

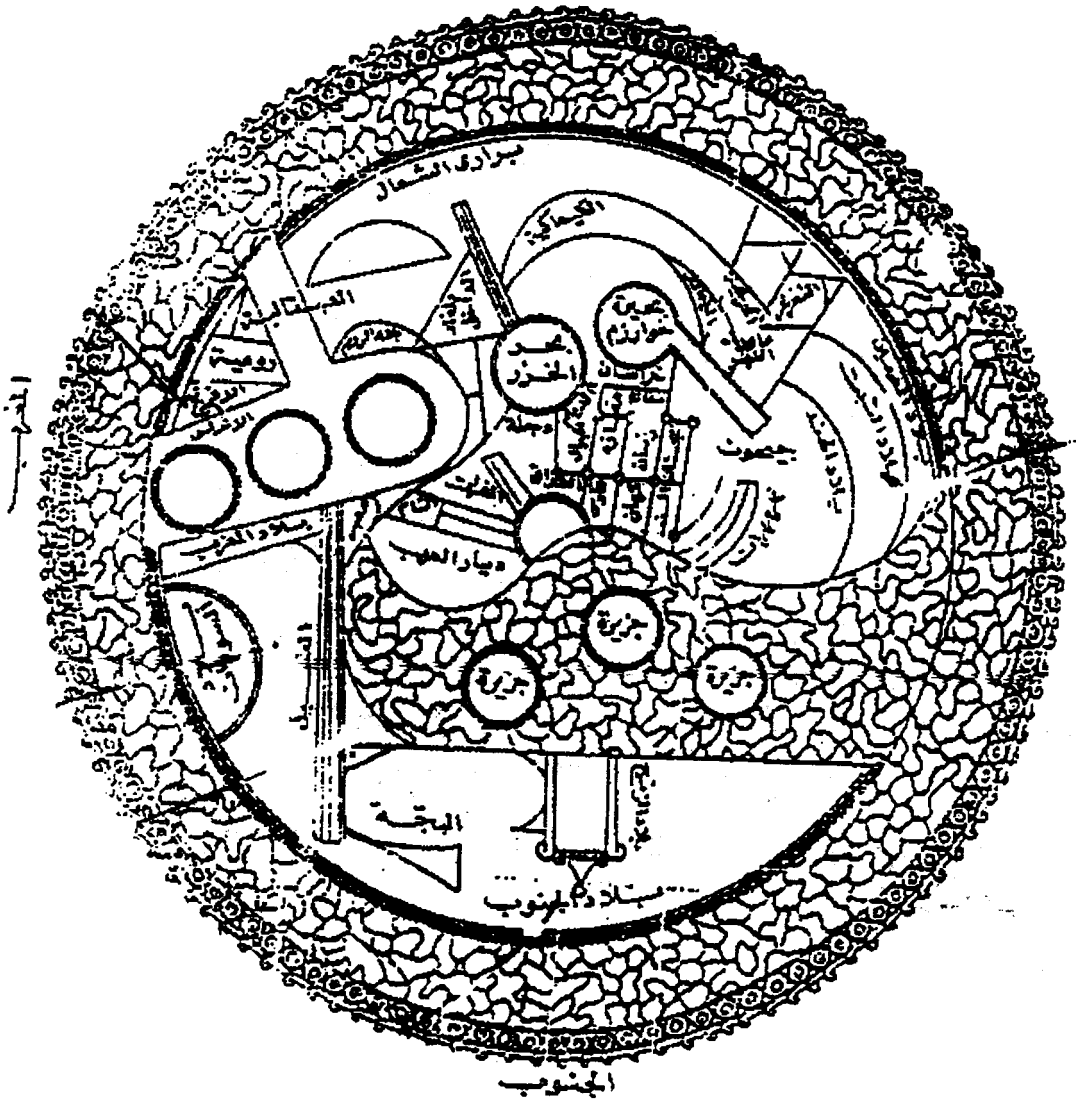


الخارطة رقم (١)



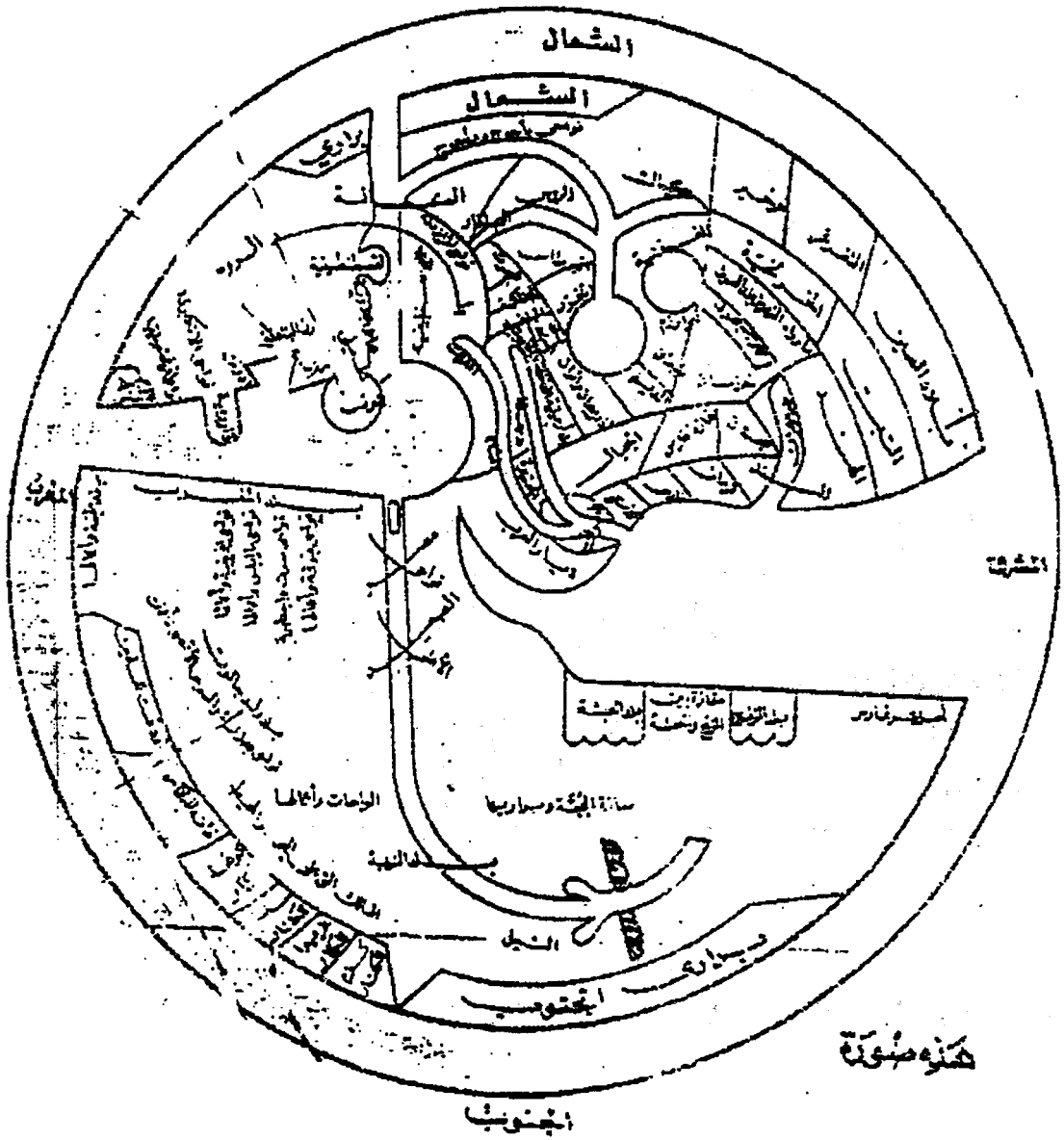


الخارطة رقم (3)



صورة ثانية للعالم للأصطخري المتوفى سنة 346هـ - 957 م

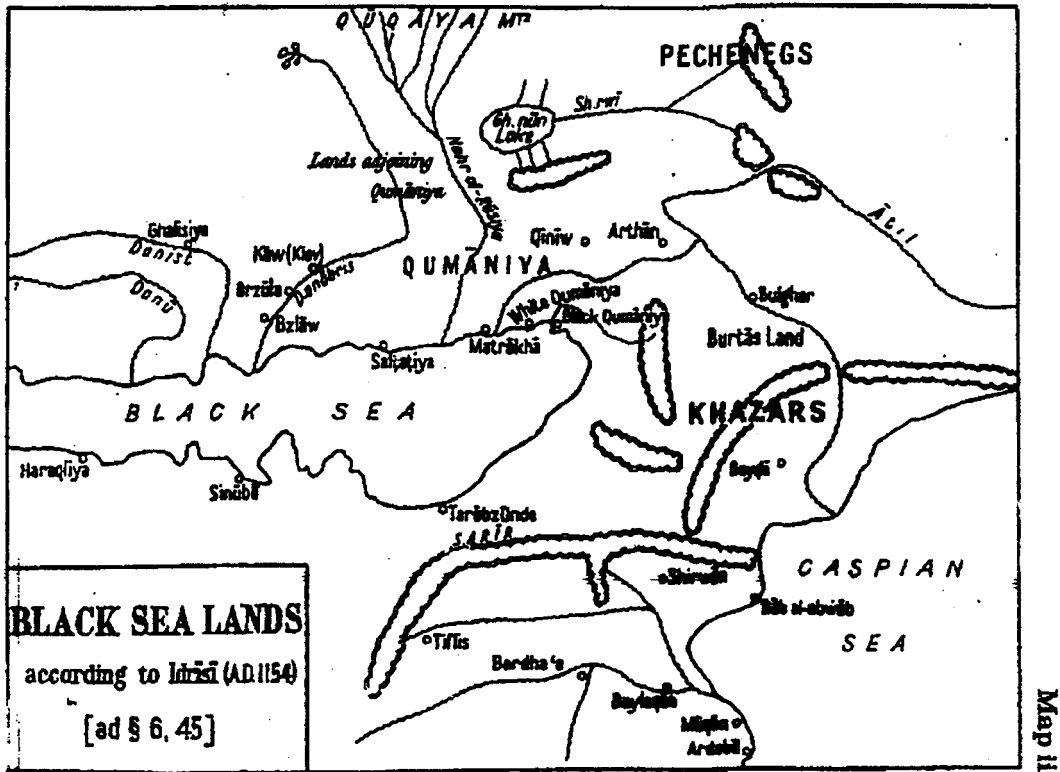
الخارطة رقم (6) المصدر: حسين مؤنس: اطلس تاريخ الاسلام



جميع الأرض

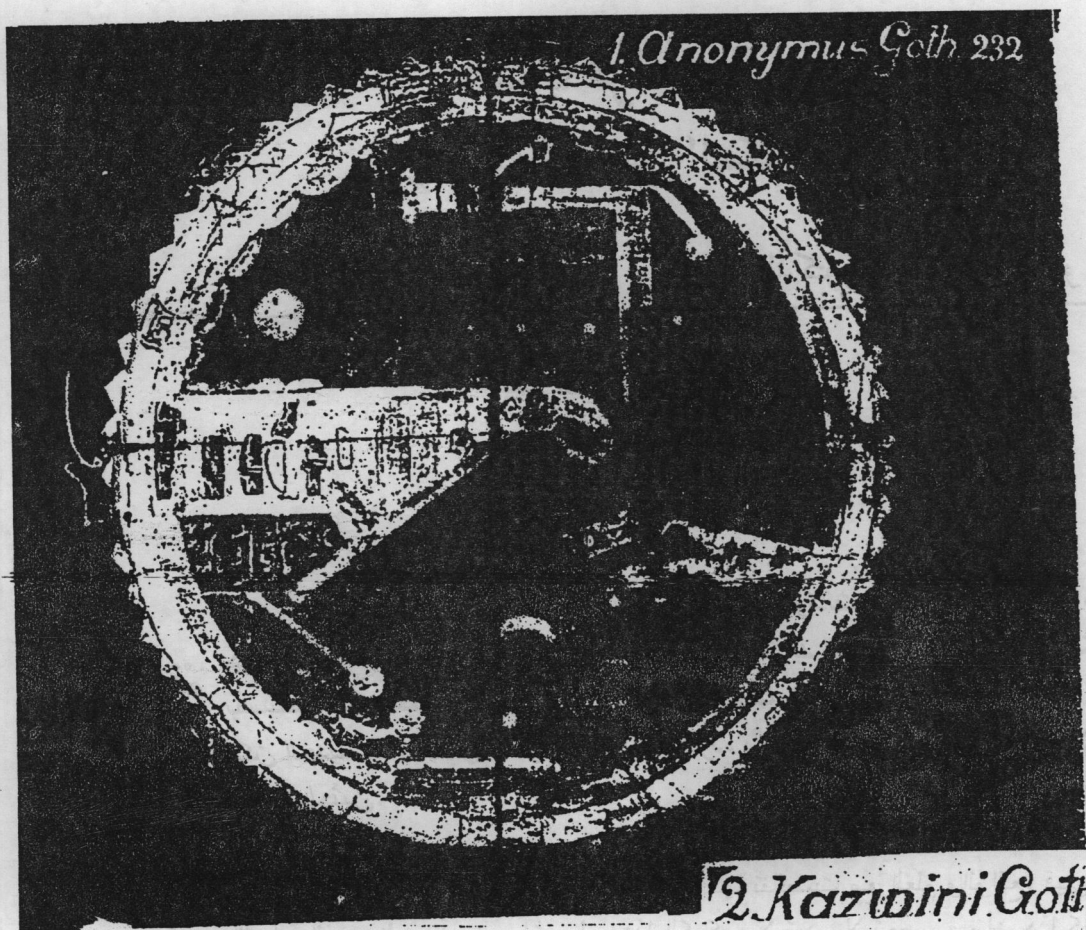
خريطة العالم لابن حوقل (367هـ - 977م)

الخارطة رقم (7) المصدر : حسين مؤنس : اطللس تاريخ الاسلام.



الخارطة رقم (8)

أراضي البحر الأسود للإدريسي المصدر: HUDUD al ALAM لمؤلف مجهول



صورة الأرض للقزويني
الخارطة رقم (9)